

ذكرى شامبليون

مفتاح اللغات المصرية والكنوز الاثرية

لا يزال قدماء المصريين موضع اعجاب الشعوب في كل زمان ومكان لما يرونة من آثارهم التي بهرت العالم بفخامتها وقاومت اعاصير الدهور وافاعيل الزمان فكيف لا تكون موضوع اعجابنا اليوم ونحن سلالتهم واحق ان نفتخر بهذه الآثار الخالدة التي تعبر عن مجدهم الصميم ونفخارهم القديم ، على انها مهما بلغت من الدلالة على رفعة شأنهم ومنعة جانبهم فاهي الامسحة من جمال وجلال وبقية يسيرة من آثار رأس المال

لم ينل قدماء المصريين هذا الفخار الخالد بكثرة الغزوات وشن الغارات وانما الذي جعلهم في مقدمة معاصيرهم من الامم هو رسوخ اقدمهم في المدنية وتمسكهم بالمبادئ القويمة وغزارة علومهم وسمو مداركهم وعدالة احكامهم فقد بلغوا في الفنون والصناعات والآداب درجة زاحت الكواكب سناء وسنى في عصرها الذهبي حين كانت اوربا الغربية في عصرها الحجري

ولا شك ان مصر هي اصل حضارة العالم وينبوع المدنية ومصدر الارتقاء بدليل آثارها التي اذهت العقول وكما مضت مدة مستطيلة رأتها الابصار بمرآة صقيلة فكانها الاجرام الفلكية نزلت الى هذه البقعة الزكية لتعبر بلسان حالم ، تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

وحسبنا فخاراً ان اعظم فلاسفة اليونان كفيثاغورس وافلاطون تلقوا الفلسفة العالية والحكمة المصرية في مدرسة عين شمس ونقل افلاطون كل حكمته عن المصريين وتغذى موسى الكليم بلبان العلم في مصر قال هيردوت وغيره من المؤرخين اليونانيين « ان مصر ام العجائب والفرائب » . وليس السبب في ذلك حسن هوائها ولا مناظر آثارها فقط بل الجدير بالاعجاب هو اخلاق شعبها وطاداتهم ولاسيما ما كانت عليه المرأة المصرية من تمتعها بجميع حقوقها المادية والادبية حتى في التربع على دست الملك خلافاً لما كانت عليه المرأة الشرقية او اليونانية في تلك العصور

لم يتعرض مؤرخو اليونان كهيردوت وديودور الصقلي لذكر شيء من علوم قدماء المصريين لانهم لم يكن لهم الملم باللغة الهرغليفية ولا اقل رابطة بالطبقة العالية المتعلمة من الكهنة او الكتبة بل كانت كل علاقاتهم بالطبقة الجاهلة من الكهنة الذين كانوا يروون لهم الخرافات الخاصة بالفراعنة العظام وكانوا يزدرونهم لبساطتهم حتى قالوا لهم مرة « ما انتم ايها اليونان الا اطفال » وقال اكليمينديس الاسكندراني از قدماء المصريين لم يبوحوا باسرارهم الدينية والادبية الا الى الملوك والكهنة المشاهير بالفضل والعلم والادب

وكانت بمصر دار كتب في عهد ملوك اهرام الجيزة وقال مانيشون المؤرخ (المتوفى في القرن الثالث ق . م .) ان عدد المؤلفات المنسوبة الى هرمنس ٣٥٥٢٥ . ومن عجيب ما يروى انه لما عمد المصريون على الامبراطور ديكسيان (في القرن الثالث ب . م .) احرق جميع المؤلفات المصرية القديمة الخاصة بعلم الكيمياء حتى لا يستعينوا بهذا العلم على مقاومته

لم يبق الدخلاء الذين تسلطوا على مصر شيئاً من كتب الاقدمين ، الا ما وجدناه مكتوباً في المقابر والمعابد ولهذا اندثرت جميع علومنا وفنوننا وصناعاتنا القديمة ثم قام من ارشدنا الى مجدنا السابق الا وهو شامبليون احد ابنا فرنسا العظام فحل رموز لغة اجدادنا وقرأ ما نقشوه على جدران الاهرام والمقابر وما كتبوه على الاوراق البردية المحفوظة الآن في متاحف العالم من آثار علومهم وفنونهم وصناعاتهم فتيسر لنا ان نقف على حقيقة تاريخنا السابق ونهض من سباتنا ونخلع اردية الخمول والذهول ، وجميع ما نحن عليه اليوم من هذه النهضة الحديثة والتقدم والرقى انما هو راجع ولا شك الى فضل شامبليون الذي اكتشف لنا اسرار اللغة الهرغليفية التي عجز عن حلها الباحثون منذ النفي سنة تقريباً

لذلك كتبت الكلمات التالية اقراراً بفضل هذا الرجل العظيم وتذكراً لعيده الثوري من عهد اكتشافه اللغة الهرغليفية

لمحة في سيرة شامبليون

ولد جان فرنسوى شامبليون في مدينة فيجاك من اعمال فرنسا سنة ١٧٩٠ من سلاله الاسرة المالكة ولقب بالصغير تمييزاً له عن اخيه فيجاك شمبوليون . مات والده في صغره فقام اخوه على تربيته . وكان نجيباً ذكياً تعلم من دون معلم في

السنة الثالثة عشرة من عمره للغة العربية والسريانية واليونانية والعربية والصينية ثم تعلم كثيراً غيرها، ولكنه امتاز بمعرفة اللغة القبطية حتى انه كتب مرة الى اخيه يقول لا يوجد بين جميع الشعوب الذين احبهم من يعادل المصريين في قاي

وكان يميل كثيراً الى معرفة لغة الهرغيفية فساعدته في ذلك ما قرأه في كتب اليونان ورومن واستعان بالغة القبطية وبراء علماء الآثار وهيرزومبا واكربلاد والدكتور بنج الشهر، وهو من خطط انه تشر على حجر رشيد ومسلة فيلا المكتوب عليهما اسم الموكب بالفتن الهرغيفية واليونانية. واعد بحث واستقصاء اكتشاف الاحرف الابجدية الهرغيفية التي نال بسببها حلوة وزلني عند لويس الثامن عشر ملك فرنسا حتى كلفاه على هذا الاكتشاف البديع بعلبة من الذهب منقوش عليها هذه العبارة «بديعة من الملك لويس الثامن عشر الى شامبليون لاكتشافه الاحرف الهجائية الهرغيفية»

اراد شامبليون بعد ذلك معرفة مدلولات هذه اللغة فاتقن اللغة القبطية التي هي نفس اللغة الهرغيفية لكنها مكتوب بحروف يونانية وسافر الى ايطاليا وزار متاحفها واتي الى مصر والنوبة واقام سنين في هذه الرحلة التي جعلها ذريعة الى مطلبه ووسيلة الى بقية ولم يزل يجد في البحث وبعض في الفحص حتى فاجاه الموت في ٤ مارس سنة ١٨٣٢ وله من العمر ٤٢ سنة وآخر ما نطق به «ترك اجروميبي وقاموسي ومذكراتي في اللغة الهرغيفية كبطاقة للخلف»

قال شاتوبريان «لا يزال اسم شامبليون حياً ما دامت قائمة هذه الآثار التي كشف لنا اسرارها الغامضة» نعم مات شامبليون ولكنه لا يزال حياً باعماله التي اظهرت لنا مجدنا السابق فلابد ان كرامته باقامة تمثال له اعترافاً بذكائه وفضله مشروع اقامة تمثال لشامبليون بشار الاسكندرية

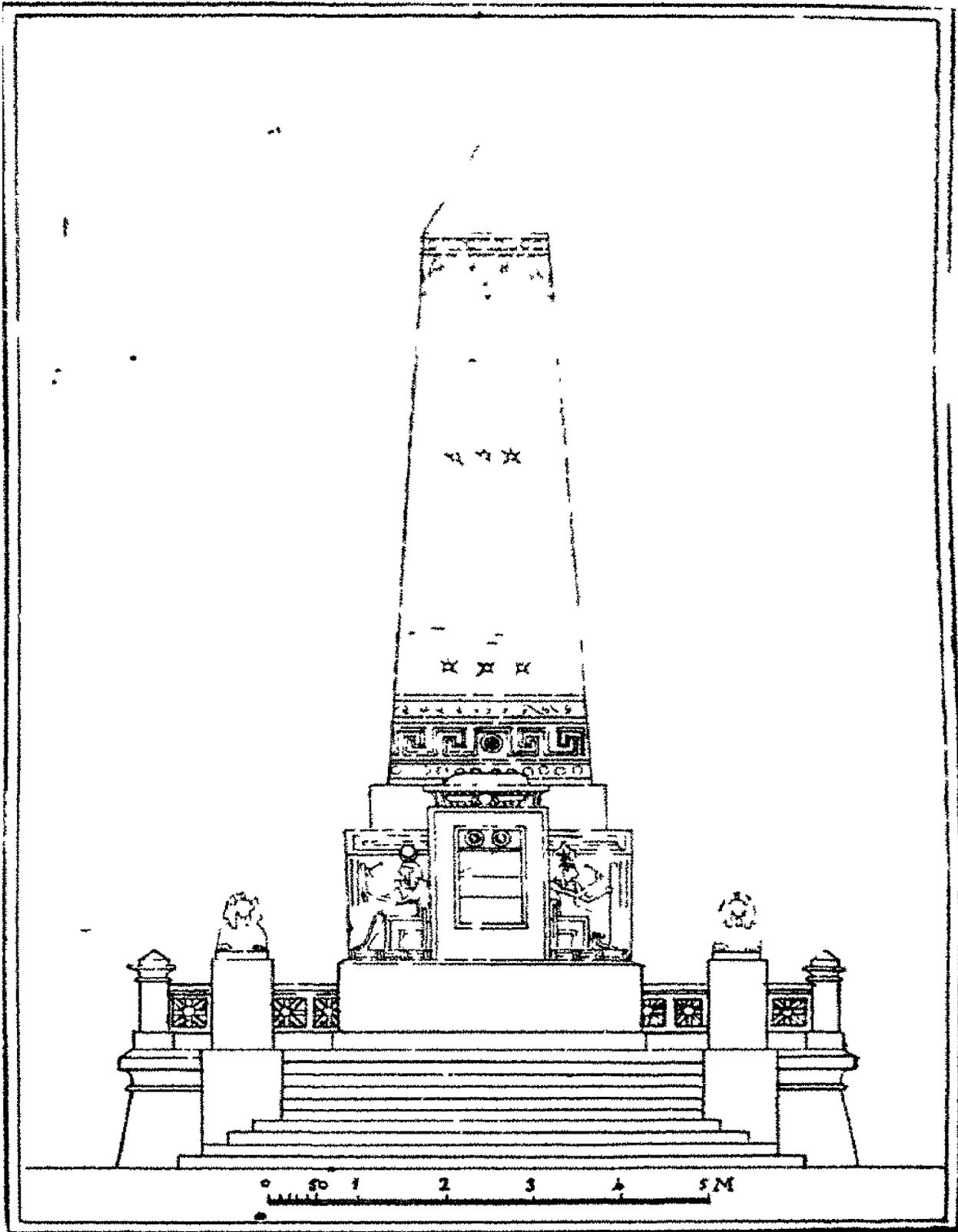
«بقي جماها مخفياً ولم يستطع احد ان يكشف عنها هذا الغطاء» هذه آية اصلها من نشيد اسيس الهة الجمال ثم اطلقت ايضاً على مصر القديمة حتى اول القرن التاسع عشر. م الذي جاء فيه شامبليون واكتشف اللغة الهرغيفية فرجع بمهارته هذا الغطاء عن هذا الجمال الذي صار موضوع اهتمام العالم المتمدن يأتي السائحون مصر ويوزرون كل آثارها ويرجعون الى بلادهم معجبين بجماها

ويبدلون نحو مليون من الجنيهات كل سنة في هذا السبيل ولولا علمهم عمزايا هذه الآثار السامية لما أتوا إليها من جميع أنحاء العالم وكابدوا لاجلها هذه المشاق . فالفضل في ذلك راجع الى اكتشاف اللغة الهرغليفية التي لولاها لم يظهر لهذه الآثار معنى في الوجود . قد اكتشف شامليون قراءة هذا الخط المسطر على جدران المعابد والاهرام والاوراق الردية فأحيا لغة الفراعنة العظام التي دلت على شأركم القومية وعلومهم العالية وفنونهم السامية وطاقتهم الراقية . وقف المصريون بفضل شامبليون على تاريخ أبهم العظام واجدادهم الكرام وعرفوا انهم كانوا رجالا حين كان اليونان اطفالا . وبفضل شامبليون لا تزال الاكتشافات متواصلة متتابعة فان مندوبي الدول يأتون مصر ويحفرون الحفائر الأثرية مها كلفتهم من الاموال والاعتاب والزمن لاستخراج ما في بطون الثرى من الكوز الثمينة التي نراها في متحفنا المصري وفي جميع متاحف العالم والتي ستظهرها الايام المقبلة . وبفضل شامبليون اسست حكومتنا مصلحة الآثار التاريخية والمتحف المصري المشتمل على كثير من التحف القديمة

احتفلت فرنسا في ١٠ يوليو سنة ١٩٢٢ بيوبيل شامبليون تذكارا للتقرير الذي قدمه في مثل هذا اليوم من سنة ١٨٢٢ (١) الى معهد العلوم والفنون الجميلة بباريس بنتيجة اكتشاف الابجدية الهرغليفية وكان عمره وقتئذ ٣٣ سنة ولقد آلف غاليلاردو بك الفرنسي لجنة برئاسة رجل المروءة صاحب السموعمر باشا طسن واكتتب لها بنحو خمسة آلاف جنيه اغلبها من عطاء المصريين لاقامة تمثال لشامبليون يخلد ذكره واقترح ان يكون هذا الاثر الجليل في ثغر الاسكندرية في الفضاء الذي خلف قنصلية فرنسا ويكون مرتفعا عن مستوى الارض مترا ونصف متر وحوله درابزين وفي وسطه مسلة بها ناووس فيه شاهد منقوش عليه النموذج من حجر رشيد ويعلوه تمثال شامليون والى يمين هذا الناووس ويساره تمثالان الاول لتحوت اله العلوم والفنون والمعارف والثاني لسافخ سيدة الكتابة وأمينة ديار الكتب المصرية

الطون زكري
بالمتحف المصري

(١) قسم شامليون تقريره الى معهد العلوم في ٢٧ ديسمبر سنة ١٨٢٢ ولكن فرنسا تحتفل بالذكرى في ١٠ يوليو سنة ١٩٢٢ اذ يكون كثير من الاوروبيين وغيرهم بباريس



مقتطف اغسطس ١٩٢٢
امام الصفحة ٢١٦

تذكار شامليون